

بَابُ الْمُشْتَرَاكِ وَالْإِنْتِقَادِ

Comptes rendus et critique.

٨ - الربيعيات

رفائيل بطي

الربيعيات (؟) والصواب ربيعيات اسم طيب على الأذان ، لا تكاد تسمع بها أنت إلا لو تصور بين يديك ازهار الربيع بأنواعها والوانها واختلاف روائحها على أنك قد تجد في اكتمت تلك الازاهير الربيعية خنافس دقيقة او هوام متنوعة او زناوير لاسمة . وعلى هذا المثال وجدنا ربيعيات رفائيل ، ففيها كل ما اشرنا اليه من محاسن ومساوي .

اما محاسن تلك الازاهير ، فهي تلك العبارات اللائقة . المحكمة الوضع .

لا معنى لاستعمالها في العربية لان لغتنا مستغنية عنها وهي قديمة الدخول في لساننا نقلها عرب الأندلس المسيحيون في المائة الثالثة عشرة للميلاد او في المائة السابعة للهجرة عن اليونانية Chrima على رأي دوزي المستشرق الهولندي . وعندنا انها من اليونانية Cathierosis بمعناها . واما الاولى فمعناها زيت التقديس يسمح بها ما يراد ارضاءه بالله او بالقديسات .

على ان فصحاء العرب كرهوا اتخاذ هذه الكلمة لما في معناها من الحقارة ففي لسان العرب : التكريس ضم الشيء بعضه الى بعض ويجوز ان يكون من كرس الدمنة (بكسر الكاف) حيث تقف الدواب ... وابوال لابل والغنم وابعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار . وهذا نرانا في مندوحة عن استعمالها معترضين عنها بالفاظ عربية صرفة . مثل : خصص وأرصد وسبل (بتضمين الباء) وقس (بالتضعيف) الى امثالها وهي كثيرة .

على أننا قد بحثنا عن وجودها في مؤلفات العرب غير النصارى فلم نجد لها اثرًا . فنبهنا اذا خير من الاحتفاظ بها على غير طائل .

المدية الرصف . المختار الألفاظ . الرشقة المعاني . وفي أغلبها من الرقة والسلاسة ما لا تجدها في أكبر كتبة هذا العصر . ولا بدع في ذلك فإن الكاتب وهب حظاً وافراً من الصنعة الساحرة . ومن شكرها عليه . فقد انكر على الشمس ضياءها في رائحة النهار .

على أن في تلك الأواخر خفاش سوداء . تدأب في سلبها روائحها وإطايها وأول هذه الخنافس أنه يكتب شيئاً ويريد شيئاً آخر . قال في أول كلمة نقشتها أنامله في صدر كتبه (الواقع في ١٠٠ صفحة من قطع ١٦) : « يا أمال ، هذه كلمات تعبر عن خوالج نفس أثارها الحس والشعور . فكان حسها داعي لذتها ، وشعورها علة لها . لهذا أهديا إليك .

فحاولنا أن نفهم ما قال . فذهب عناؤنا في الأول عبثاً ، ثم فكرنا بعد ذلك ملياً ، فأتضح لنا أنه يريد بالخوالج : الخواطر والهواجس أو المختلجات ؛ أما الخوالج فجمع خالجة وهذه من خلفه أي جذبه وسلبه ونزعه وحركه . ثم أن العرب تخص وقوع المختلجات بالصدر لا بالنفس — وقوله أثارها الحس لا معنى له : ولعله يريد الاحساس مصدر احس بالشيء أي ظنه ووجداه وأبصره وعلمه . وأما الحس فهو الحركة وإن تمر بك قريباً فتسمع به ولا تراه . والصوت . ووجع يأخذ النفس بعد الولادة ، وبرد يحرق الكلاً ، وقد حسه : أحرقه . فهل أراد شيئاً من هذا أو هذا كله ؟ . — وقوله : كان حسها (أي حس الخوالج) داعي لذتها . كلام مغلوط يحتاج إلى أن يطلب القاري مفتاحه إلى من تولى أغلاقه . ولعل مراده : فكان الاحساس بها داعياً إلى التلذذ بها ، وحينئذ تبذل في سماء المعنى سحابة ماطر . وقوله : « وشعورها » لا ينطق بها عربي . بل نقول : والشعور بها . وأما قوله وشعورها علة لها . فهو قد لا يكون كذلك إذ قد يشعر المرء بشيء فيتألم منه . وقد يشعر به فيستلذ به .

هذه الخنافس وجدناها في أول برعومة انفتحت لنا . فما قوله بخنافس سائر البراعم .

وأما الصفحة الثانية التي وسمها « بصريح القول » فانتا نرى أنه لم يعنونها كما يجب . فلو جلاها بقوله : « بمغلوط القول » لكان أوفق للموضوع . فلقد

اعملنا الفكرة في تفهم تلك الاسطر الستة فلم نوفق له ، فعمى ان يهتدي غيرنا الى ما يريد الكاتب .

والخلاصة فهمنا من هاتين الصفحتين ان الناطق بتلك المفردات الفريدة لا يريد ان يجمع من تنسيقها معنى يمثل حقائق وصورا بينة . بل يريد فيها ذنونة وطننة وطققة وشقشة وبققة . ولهذا لا نريد ان تتبعه في جميع ما جاء به على هذا الخنثى المبارك!

تعال الان تنظر ما فيه من صغار الزناير اللاسعة . فالظاهر ان الرجل عصبي في غاية العصبية . فهو يمجذب بعض المتهوسين ويلقب بعض الرجال الهادمين لاركان الراحة والسلام بالقلب ضخمة لاتصلح لهم إلا من قبيل الهزة والسخرية . فقد قال مثلا في ص ١٠ : «سمعت نداء المصلحين والمبشرين من عهد «بوذا» «وكنفوشيوس» الى يوم «كارل ماركس» و «تولستوي» . فعلمت ان هذه التعاليم . مع كل ما حوته من الحكمة (?) والسداد (?) ليست بكافية لتغيير سبيل الحياة الذي سار عليه البشر» لا اعلم ما يريد بالمصلحين والمبشرين ؛ كما لا اعلم كيف جعل بوذا وكنفوشيوس و كارل ماركس وتولستوي من طبقة واحدة ؟ وهل في تعاليم هؤلاء الاربعة حكمة وسداد ؟ فان كانت فيها ، فلم بقي الاخذون بها على غير سبيل الحياة الذي سار عليه البشر ؟ — وفي الفصل الذي عنوانه « النابغة » (ص ٦٦ الى ص ٧١) ما لا ينطوي فحوا على غر الريحاني معبودة . بل عليه نفسه . وكله كلام لوقاله غير لوصمه بالمعتولة والمجنون . لكن الظاهر من كلام رفائيل انه يجوز له ان يمدح نفسه بل يؤلها . ولا يجوز لغيره ان يتنفس هوآء الجو الذي يستشقه وذلك لانه قال (في ص ٧١) « وسوف يعرفني رفاقي (لعلها رفقاوي) متى رفعوا الغشاوة عن اعينهم (لعلها عن عيونهم) . وذلك لان على عيون جميع لدات الكاتب غشاوة إلا هو فانه يبصر . أفيجوز له ان يمدح نفسه على هذا الطراز البديع ؟) فيعلمون انني واياهم في الجوهر (اي جوهر ؟) متفقون وان اختلفنا في الاعراض (اي اعراض تريد ؟) افصح لنا لنؤاخذك وتتخذك استاذنا وامانا .)

لساعات رفائيل مسمومة ! لا نريد ان نستزيد منها ، فلا بد من انها تحدث ورما . فلنتنقل الى الهوام التي في تلك الزهرات الربيعية .

ونريد بالهوام الاغلاط الصرفية والنحوية واللغوية . واول هذه الكلمات، اول لفظة في هذا الكتيب ، فقد عنوانه بالربيعيات ، وليس للكلمة وجود في العربية ولعلهم يريد « الربيعيات » بكسر الراء نسبة الى الربيع . والفصحاء لم ينطقوا بغير الربعي والجمع ربيعيات — وقال في ص ٥ : فاذا رأى فيها بعض القراء ... والصواب فان رأى :

في ص ٩ س ٨ من ثور تلك الاعصار الهائلة والصواب ذلك الاعصار الهائل لان الاعصار (بكسر الهجمة) مفرد . والجمع اعاصير وليس بجمع البتة كما توهمه .

ص ٤ فيثور على الوجوه والمقامين الانويين . لا اعلم ما يريد بالانويين ، فلهذا يريد بهم ما سماهم الاخرون بالانانيين ويريدون بهم المستأثرين . فمسي ان يصح حذسي .

ص ١٦ عيناها الزرقاوان يشعان نورا ويتقدان بسحرهما ... لعلهم يريد تشعان نورا وتقدان بسحرهما .

في تلك الصفحة : ثغرها الوردي ... وهذه اول مرة نرى الثغر يوصف بالوردي : والمعروف عند العرب ان الثغر هو الاسنان او مقدمها او مادامت في منابتها وتوصف بالبياض الناصع

وفي ص ١٩ : « تغسل امواج الامل قديمك العاجيتين في نهر الحياة . كلما عبثا برمال الشاطئ .. باحثة عن «خاتم البخت» مستفهمة من اكوامها واحافيرها نبا مستقبلك » — قلنا : الى من يعود تأنيث باحثة ومستفهمة واي معنى هناك ولعلهم يريد : باحثين (نحن الذين نبحث برمال الشاطئ) عن خاتم البخت مستفهمين ...

في ص ٢٢ : في تلك المغارة : التي لا يسمع فيها : إلا حفيف الاغصان الجرداء ... لا يا حبيبي رفايل ليس في المغاور اغصان خضراء ولا جرداء فكيف يسمع فيها حفيفها .

في ص ٢٣ ، ولود عجيب يدعى « يسوع » في حضانة والدته ... لا افهم الحضانة هنا ، فماذا تريد بها ؟

وفيها : وترا كضت الامهات لتنهى، والوالدة الجديدة بميلادها الغريب ...
يا له من تعبير يخالف ما في التفكير. الامهات ينثن والوالدة بولادتها الولد المعجب
لا بميلادها اي وقت ولادتها . والولادة هنا صجية لا غريبة . فكيف يجمع
بين اشياء مخالفة للحقيقة ؟

وفي ص ٢٥ — القياصرة العاتين . أجمع عات على عاتين ام يكسر على
عتاة وعتي ؟

وفيها — قليلون هم الذين فهموا سر الحياة لهذا الطفل العظيم : تعبير ركيك
واحسن منه : سر الحياة حياة هذا الطفل العظيم .

وفي ص ٢٦ : عيشة الحكماء والمشرعين ... والصواب والشارعين
أو المشرعين .

وفي ص ٢٧ : ولم يخاطب جيله الحاضر : واحسن منه : المعاصر

وفيها : الاجيال القابلة بمعنى المقبلة وهي غريبة جدا

ولا نريد ان نتبع الكاتب في جميع هنائه : وقد اكتفينا بما ذكرنا .

ونود ان لا يتعرض للمباحث التي هي خارجة عن نطاق علم من دينية
وفلسفية وما يماثلها . وذلك ضمن لراحته واسلم له من العثار .

٩ — محاضرات في تاريخ مدن العراق

(في ١٣٦ صفحة بقطع ١٢)

القاهها يوسف رزق الله غنيمته

في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٤

طبع بنفقة المكتبة المصرية في بغداد لصاحبها محمود حلمي

عدي الرجال الذين يقبلون ان تنقد كتبهم لا يكاد يكون له وجود : فانهم
قليلون في بلادنا هذه الشرقية . ولا سيما في العراق : اما في سورية والديار المصرية
فقد فعم الناس ان لا بد للنقد لاصلاح ما في مؤلفاتنا من الاوهام والاغلاط وسوء
المنهج في المباحث العلمية : اذ يغلب فيها الجهل العلم .

اما صاحب هذا الكتاب فمعجب في جميع ما يكتب ويتكلم ويرثي . اذ

قلما نرى من يصارع في هذه الامور الثلاثة : لانه ان كتب ابتدع وان تكلم افحم وان ارتأى رأيا بزر فيه من تقدمه — نقول هذا لان صاحبه كتب الينا حين اهدانا تصنيفه : « اطلب اليكم ان تنتقدوا ولا تقرظوا او تشارفوا فقط لان في النقد فائدة للقرآء . ولي ولكل من يروم الوقوف على الحقيقة »

فاجابة اطلبه نقول : ان الكتاب على ماهو درة من الدرر . لانا لم نر الى الان من تعرض للمباحث التي طرقها الكاتب المحقق ، فانه جعل موضوع ما كتب الكلام عن مدن العراق المندثرة . وانما لم تذكر هذه الكلمة لانا اراد وضع تأليفه على قسمين : قسم يخصه بالمدن المندثرة ، وقسم بالمدن الحاضرة ، ولكن اشغاله منعه دون تحقيق امنيته كلها . فنحن هذا القسم بالمدن المندثرة :

والباحث الاجنبي اذا اراد الوقوف على ما كان في ديار العراق من المدن العتيقة وجد في لغته الانكليزية او الفرنسية او الايطالية او الالمانية او الاسبانية مولفات كثيرة تفي بالمطلوب : اما العرب سكان هذه الديار المباركة فانهم لا يعشرون على شيء من هذا القليل ، فيضطر الى ان يسأل هذا وذاك للوقوف على ما كانت دياره في سابق العهد . ولذا سد هذا الكتاب ثغرة : بل فجوة واسعة في تاريخنا .

جميع ما تطالع في هذه الصفحات منقول عن عدة لغات وعن اصحاب القدم الراسخة في ما يصنفون . ولذا يحق للقارئ ان يعتمد كل الاعتماد على ما تخطه يراعة صاحب « الفنائم »

على اتنا لا نذكر ان هناك بعض الاوهام تحتاج الى تصحيح في الطبعة الثانية وتقسم هذه الاوهام الى ثلاثة : اوهام طبع ، واوهام اعلام ؛ واوهام نحو او لغة .

فمن اوهام الطبع التي تصلح في باب التصويب ما هذا بمضد :

ص س ك

٤ ١٣ ٦ الآمال صوابها الامال

٥ ١١ ١٠ ولم يكونا هذان النهران : ولم يكن هذان

٦ ٣ ٥ اخذ طمأ دجلة والفرات والعظيم : وعظيم بدون ال وهو الذي كان

ص س ك

يعرف في عهد العباسيين باسم نهر باعيناثا

٣٨ ٤ نبد الثوات : نبد النواة

١٥١٠ ١٠ تقولون باني نسيت : تقولون اني نسيت

ولا نريد ان نزيد على هذا القدر ، لانها كثير .

واما اوهام الاعلام فان حضرتها جرى على تسمية بعض الاعلام القديمة بعد حروف العلة وهي في الاصل مقصورة ، ولاجرم انه جرى مجرى بعض المصريين الذين يأخذون تلك الاعلام عن ابناء الغرب ، ولا يحققون بانفسهم الاصل الذي اخذ عند . فقد قال مثلاً في ص ٥ : نار ماراتو والصواب نر ماراتو واحسن منها : نر مرات ، بضم التاء المبسوطة ، لانها كذلك في اللغة الاشورية وليست بحرف فكذلك تقول النهر المسمى مرات ، وهو الفرات — وقال في ص ٩ هيرودوت واخيل وارستوفان وارسطاطاليس ، والصواب ان هذه الاسماء هي يونانية ولما كانت كذلك فيحسن بنا ان نبقي عليها ثوبها اليوناني حتى يشبه القاري الى تلك المزية . وهذا قال الاقدمون من السلف : هيرودوتس واخيلس وارستوفانس وارسطاطاليس وتقول اسكندر المكدوني لا المقدوني كما قال في تلك الصفحة — وقال في ص ١٢ رولتصون ورولو نصوص ونحن نخبر عليهما اللفظ الانكليزي الحقيقي وهو رولتصن — وكتب سبار وشماش (ص ١٨) ونحن نخبر الكتابة الاصلية السامية سبر (بتشديد الباء المثلثة الفارسية) اوسفر (لان الباء المثلثة تنقل الى فاء) وشمش — وكتب ص ١٩ نبور ونرجال وشربورلا ولا كلش واوروك واشتار . ونحن نفضل عليها الرواية السامية : نبر (او نفر) ونرجل وشربورلا ولجش وارك واشتر . الى ما ضاهى هذه الاعلام .

واما اوهام النحو واللغة فكقوله في صفحة العنوان : في مدرسة دار المعلمين فبدار غنى عن ذكر المدرسة — وفي ص ٢ لما دعيتي وزارة المعارف الجميلة لاتي والصواب الى ان التي — وكقولم : عظم سروري اذ كان السامعون طائفة : والمعنى يتطلب ان يكون : وعظم سروري حينما رأيت السامعين — وذكر في ص ٣ : مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع للسيوطي . ونحن لانعلم

مؤلفا للسيوطي بهذا الوسم . اما مرصد الاطلاع المشهور فهو لتقي الدين
عبدالمؤمن بن عبدالحق (راجع مخطوطات خزانة الكتب الاهلية في باريس ص
٣٩٢) ويروي : عبدالمؤمن صفى الدين ابن عبدالحق والرواية الصحيحة هي
الواردة في كتاب الرد الوافر في ترجمة صفى الدين ابى الفضائل عبد المؤمن بن
عبدالحق بن عبدالله بن علي بن سعود البغدادي الحنبلي المولود في حمادى الآخرة
سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) اذ يقول المؤلف : وله كتاب مرصد الاطلاع على اسماء
الامكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان . توفي صفى الدين في صفر سنة ٧٣٨
(١٣٣٨ م) . — وقد طبع هذا الكتاب في لبنان طبعاً متقناً في سنة ١٨٥٠ م ثم
طبع مرتين في بلاد ايران ، وهو احسن طبعة تتخذ . اطرد الشياطين فان الاغلاط
الواردة فيها تعد بالثلاث وكلها من قبيل « الضبغطرى » تفرع بها الارواح النجسة
وتقصيهم الى حيث لا يسمعون تلك الكلم المشوهة .

اما مرصد الاطلاع للسيوطي فانه لم يتم ولم يطبع .

ومن الاغلاط المخالفة للاصول العربية قوله في ص ٥ : يجدر بنا — حين
ان نبحث عن مدن العراق القديمة واحدة فواحدة — ننظر نظراً عاماً . والصواب
ان ننظر — وقال في ص ٦ هضاب الرمال . وفي آخر الصفحة تلولا من الرمال
والصواب ان العرب لا تقول به مثل هذا المعنى إلا حبال الرمال (بالحاء المعجمة)
به كالا التمييزين — وفي ص ٧ وفلوات رملية جدا . ولو اكتفى بالكلمة
الاولى لكان احسن . لان الفلوات لا تكون إلا كما وصفها — وفي ص ١٣
بينها صفائح الاجر المشوي . والطين المجفف به الشمس . ولو قال : بينها
صفائح الاجر واللين : لاستغنى عن بقية الالفاظ لان الاجر لا يكون إلا مشويا
واللين لا يكون إلا مجففاً به الشمس — وقال الاسطوانات . والعراقيون
يسمون هذا الشكل من العاديات بالشمامات وهو اسم على مسمى . احسن من
قول الافرنج : الاسطوانات . لانها تشبه الشام كل الشبه .

وهناك غير هذه العنات وهي كلها تحسن منظر الكتاب لانها كالشامة به
وجه الحسناء كما يصفها بعضهم . اذ لا يخلو كتاب من مثايل اكثر منها .

١٠- كتاب مرشد الطلاب الى قواعد لغة الاعراب

لرزوق عيسى - الجزء الاول في الصرف

طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد سنة ١٩٢٢

في ١١٢ صفحة بقطع الثمن الصغير

كتب الصرف والنحو اكثر من ان تحصى . ابتلانا بها الاقمنون ولا يزال المحدثون يزيدوننا بلاء بتصانيفهم الجديدة. هذا ما يقال بوجود عام عن هذا الصنف من العلم : ولو اجتهد الناس بدرس العلوم المفيدة من طبيعيات وموالمات وكميويات ورياضيات الى نظائرها لافادونا اكثر واستفادوا هم ايضا على حد ما يفعل ابناء العرب .

على ان كتاب مرشد الطلاب مفيد من عدة وجوه : اولاً لانه سهل العبارة واضحا قد لا يحتاج المتعلم الى تلقي معناها عن معلم - ثانياً لانه حسن التوبيه : تتسق فصوله اتساقاً يأخذ بعضها برقاب بعض - ثالثاً لان في تعاريفه وشواهد اقوالاً حكيمية ونصائح مفيدة . فالطالب يرضع البان الاخلاق الطيبة مع مبادئ القواعد العربية - رابعاً : لان في آخر كل درس خلاصة تحوي لباب ما تعلمه التلميذ في سطور عديدة .

هذا من جهة الحسنات التي قلما تشاهد في كتاب صغير من مثله . ولما كل تصنيف لا يخلو من عيب ولو كان طفيفاً . ففي هذا المرشد شيء من هذا القبيل . فقد يجيء ببعض عبارات غير كافية لتأدية المعنى المطلوب . - قال مثلاً في ص ٤ : الكلمة لفظ يدل على معنى مفرد : ولو قال على معنى قائم بنفسه لكان اوفى بالمقصود - وفي ص ٩ وحيث لا حركة فهناك السكون : والصواب وحيث لا حركة فسكون وقد تكررت هذه الغلظة في ص ١٤ .

وفي بعض النصائح ما لا تحمد عاقبتك كقولهم في ص ١٣ : اهجر النوم ولو قال : اهجر كثيراً النوم لكان هو المطلوب - وفي ص ٢٥ « اذا اجتمعت بين هو ارفع منك فكن ادبياً » فكانه يقول : واذا اجتمعت بمن هو ادنى منك فلا تكن ادبياً . وهو قبيح كما ترى : واعلم ان يريد ان يقول فكن خافض الحواس مثلاً : بدلاً من « ادبياً » - وقال في ص ٢٨ جر العربية (بياء مشددة قبل الهاء)

ولعله يريد العربية اي العجلة . (وللعربة بركيه اي اربة واما العجلة فعمرية) ثم ما ذا يريد بقوله : جر العربية : افهذه من التصانيع التي يحسن بالمرء ان يتبعها . — وفي ص ٢٩ : « رأيت رجلا طلع الصباح في رأسه وخيم الظلام في قلبه » ولعله يريد طلع الضياء في رأسه . — وفي ص ٣١ من شاب عذاراه لم تقبل اعذاره وهو كلام احدهم وفساده ظاهر : لان الاعذار تقبل ولاسيما اذا كان المعتذر رجلا كبير السن — وفي ص ٤١ : اكرم من علمك ولو حرفا واحدا فهذا معنى اكرم ولو حرفا واحدا من علمك . وكان الاحسن ان يقال لامن اللبس : اكرم من علمك ولو علمك حرفا واحدا — وفي ص ٥٢ :

اعتزل ذكر الغواني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ولو قال : وقل « الحق » لكن اين لما في النفس — وقال في ص ٨٢
انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جامع انا ضائع انا عاري
ولو قال : انا جامع لكانت الكلمة المطلوبة في هذا البيت : واما جامع فلا معنى لها هنا .

وقد وقع في الكتاب اغلاط طبع كما وقعت في سائر الكتب وكان يجب ان يعتنى كل الاعتناء بكتب الطلبة ليبعد عنها كل غلط مطبعة من ذلك :
ص ص

٦ ٧ النيات تخيطن والصواب يخيطن
١٥ ٤ وهو حامل كيس ملح والصواب وعليه كيس ملح
١٥ ٧ وتذكره وصوابه تذكره
٢٠ ١٣ الق خبزك على الماء فتجده بعد ايام والصواب فتجده . وهذه العبارة لا معنى لها

٢٢ ٨ بالعمل — بالعمل
٢٦ ٨ الى ١٢ ذكر ابواب الفعل الثلاثي ولم يجره عن الفعل في الماضي ولا في المضارع وهو عيب لا يغتفر في هذا المقام . وكان عليه ان يذكرها بالترتيب اللازم وبالتعمير الصريح . كما كان يجب ان يقدم باب ضرب على بقية الابواب الخمسة بعد باب نصر ثم يذكر باب